فكاهات

الفوتوفون (١)

كان لاحد اغنيآء الاميركان ابنة وحيدة حباها الخالق فوق الغنى الوافر جمالاً رائعاً وخلقاً حسناً وذكآءً مفرطاً . وكانت هذه الفتاة واسمها لوسيل قد اتقنت علومها المدرسية ونشأ فيها ميل شديد الى المطالعة والكتابة فعكفت على الاشغال العقلية والتأليف ولم يخطر لها قط ان تنهمك في تزيين نفسها والتبرج بالحلى والجواهر شأن اكثر السيدات فزاد هذا الاهمال في جمالها لان الحسن الصحيح هو ما اوجدتهُ الطبيعة بدون تكلف

وفي ذات يوم طلبت لوسيل الى والدها ان يسمح لها بالسفر الى انكلترا لتنشئ فيها جريدة يومية واذ كان والدها على ثقة من كمال آدابها ومقدرتها العلمية اذن لها وزودها بمبلغٍ من المال وتواصٍ الى اصحابهِ هناك فجآءت لوسيل لندن وانشأت فيها جريدة سمتها « الكوكب » فلم يأتِ على جريدتها مدة قصيرة حتى طار صيتها بين الصحف الانكليزية واتسع انتشارها وجعل كبار الانكليز وساستهم يعجبون بالمقالات الرنانة التي كانت لوسيل تكتبها فضلاً عن الاخبار اليومية والحوادث المحلية التي كانت جريدتها تسبق الى نشرها

واذ كانت لوسيل يوماً في مكتب الجريدة تكتب عن الحرب الترنسڤالية اذا بباب غرفتها قد فتح ودخل خادمها فقال بالباب يا مولاتي فتى يطلب مقابلة منشئ الكوكب . فقالت دعهُ يدخل . فقال الخادم ولكن يا مولاتي لا اعلم لعل الرجل مجنون او سكران فان هيئتهُ تدل على هياج عظيم وفي يدهِ عصاً من جلد الفيل يتكلم ويهزها في يدهِ متوعداً . فتبسمت لوسيل وقالت لا بأس يا هذا دع الرجل يدخل اليَّ حالاً . فذهب الخادم وما غاب حتى عاد وامامهُ فتىً في مقتبل

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

الشباب قد ابيضّ قسمٌ من شعر رأسهِ وارتسمت على جبهتهِ اسارير تدل على التعب والهم ورأت لوسيل في هيئة الرجل دلائل الهياج والغيظ الشديد وعجبت من دخولهِ وقبعتهُ لا تزال على رأسهِ والعصا في يدهِ ونسخة من الكوكب في يدهِ الاخرى . فنظرت اليه لوسيل نظر المستفهم بوجهٍ طلق فقال الشاب اين منشئ هذه الجريدة . فقالت لوسيل انا هو يا مولاي فماذا تأمر . فقال وقد تغيرت ملامحهُ للحال من الغيظ الى الاستخفاف والازدراء لم اكن اعلم ان المنشئ فتاة وقد ظننتهُ رجلاً من مقامي لا ينكر عليَّ طلب الانتقام ويقوى على احتمال بضع ضربات من يدي . اما وقد رأيتهُ فتاةً ضعيفة فانا اخجل من ان يقال اني رفعت عليها يدًا وغاية ما انتقم بهِ منكِ يا هذه ان احتقركِ ولا اهتم بكِ . ثم حوّل وجههُ وسار نحو الباب. وكانت لوسيل في غاية الحيرة والتعجب مما رأت وسمعت فلم تطق هذه الاهانة . وكانت لا تزال جالسة على كرسيها فوثبت للحال وامسكت الشاب من يدهِ وقالت لهُ بصوت الآمر ارجع يا هذا وافصح في المقال فانا لا اسمح لك البتة ان تهينني وتذهب كما دخلت بدون ان تعلمني السبب . قال اظنكِ عرفتِ سبب غيظي لانك قصدتهِ . قالت لم اقصد سوءًا باحد ولا اعرف من انت . قال يا للعجب ألا تعرفينني فكيف كتبتِ عني في جريدتكِ . قالت اقسم لك بشرفي اني لا اعرفك ولم اكتب عنك شيئًا . فعاد الشاب معها وجلس على كرسي بازآئها ثم فتح الجريدة التي في يدهِ وقال هاكِ ما جآء في جريدتكِ بتاريخ امس . ثم قرا ما يأتي « اقترحت بعض الجرائد وضع مقالة في سرقة المصارف وتزوير اوراقها وعندنا انهُ لا يحسن كتابة ذلك بالتفصيل اللازم سوى شخص يدعى جون مارسدن كان قد زوَّر قراطيس مالية حين كان مستخدمًا عندعمهِ في نيويرك وحكم عليهِ بالاشغال الشاقة مدة ثلاث سنوات »

فقالت لوسيل انني لا اكتب في جريدتي سوى المقالات العلمية والسياسية اما الاخبار المحلية والشخصية فيكتبها لي باجرتهِ شخص آخر ولثقتي بهِ فاني لا اطالع شيئًا من كتاباتهِ وانا أؤكد لك انني لم اقرأ هذه الجملة الى الآن ولكن ارجو ان تفيدني عن سبب غيظك من ذلك . فقال الشاب وقد صبغ الدم وجنتيهِ انا هو

جون مارسدن وانت تدرين ماذا يكون تأثير هذه الجملة في حياتي . وبعد ماتوقف قليلاً عن الكلام قال واذ عرفتِ ذلك فلا بد من ابلاغكِ الامر بالتفصيل . فانا اميركي الاصل واسمي جون مارسدن توفي والداي وانا صغير السن فاخذني عمي الى بيتهِ ورباني حتى اذا اتقنت دروسي ادخلني في تجارتهِ وسلم اليَّ شيئاً من اعمالهِ فكنت اداأب ليلاً ونهارًا في العمل وانا اودّ ان اكافئ عمي على ما انفقهُ عليَّ في تربيتي وتثقيفي . وكان لعمي ولدٌ من زوجتهِ لم اختر غيرهُ صديقاً لان كثرة الاصدقاء تضطرّني الى التبذير وبقيت هكذا مدة سنتين في العمل والكد حتى ظهرت حوالة على صندوق المحل بمبلغ الفي ريال وبعد دفع قيمتها وجد انها مزوّرة فاهتمّ عمي وجميعنا لمعرفة الجاني وطلب من الحكومة مساعدتهُ في الامر . ثم بعد حين ظهرت حوالة اخرى مزوّرة بقيمة اربعة آلاف ريال ولا تسألي عن البحث الدقيق والتحري الذي اجرتهُ الحكومة في ذلك الحين . وجئتُ ذات يوم الى الادارة فوجدت رجال الشحنة فيها ينتظرون قدومي وحالما دخلت القوا عليَّ القبض وساقوني الى السجن وانا لا اعلم شيئاً مما يفعلون وكنت اتوقع في كل دقيقة قدوم عمي او ابنهِ لفكّ اسري فمضى عليَّ اليوم الاول والثاني وانا لا ارى احداً سوى السجان الذي يأتيني بالطعام. وفي اليوم الثالث نُقلت الى دار المحاكمة وهناك سمعت اني متهم بتزوير الحوالتين المذكورتين وانهم وجدوا بين اوراقي حوالة اخرى مزوّرة بقيمة اربعة آلاف ريال

اما انا فكان هول الموقف ومرارة التهمة قد صدعا فؤادي واطارا صوابي فلم اعلم أفي يقظةٍ انا ام في منام ثم لفتُّ وجهي الى جهة عمي فرأيتهُ ينظر اليَّ نظرة الاحتقار والكراهية ولما سُئل عن رأيهِ في الامر قال انهُ يفضل مماتي على ان احيا موصوماً بسمة التزوير والاختلاس . ولما رأيت اقتناع عمي بذلك وكان هو املي الوحيد شعرت باختلاج اعضآئي واظلمت عيناي فسقطت الى الارض لا اعي شيئاً . ولما افقت وجدت نفسي في سجني وقد حكم عليَّ بالاشغال الشاقة مدة ثلاث سنوات . ومرّت عليَّ الايام والشهور في ذلك السجن المخيف لم ارَ فيها صديقاً معزياً ولا من يسأل عني سوى ابن عمي الذي زارني مرتين . وكنت اطلب الى الله ان يقصر

حبل حياتي ويكفيني عذاب السجن والحياة ولكن ابى الله ان يستجيب طلبي وبقيت حيًّا الى نهاية المدة فاطلق سراحي . ولم تهن عليّ العودة الى بيت عمي بعد ما رأيت منهُ من الكراهية لي والتسرع في الحكم عليّ وعزّت عليّ الاقامة في كل تلك البلاد فجئت انكلترا وخدمت فيها في شركة تجارية حيث انا الآن . وبعد مجيئي الى هنا صادفت ابن عمي واخبرني انهُ كان دائماً يتجادل واباهُ بسببي ويلومهُ على سوء ظنهِ بي وان الامر افضى بينهما الى خلافٍ عظيم فترك نيويرك وجاء الى انكلترا ليقيم فيها . فجلسنا حيناً نتحادث ورأيت انهُ لا مال معهُ فكنت اقاسمهُ دخلي الى اول الشهر الماضي فلم اعد اراهُ ولا ادري اين هو . وكنت قد اكتسبت رضى اصحاب الشركة فزادوا راتبي ولم يزالوا يبالغون في اكرامي حتى رأوا اليوم هذه النسخة من الجريدة فاستدعوني وامروني ان اكذب هذه الاشاعة والا فهم لا يكفلون بقائي في هذه الخدمة

وكانت لوسيل تسمع بغاية التأثر فلما انتهى جون من كلامهِ قالت انني اتأسف غاية الاسف لما حصل بغير علم مني وسأقابل جورج ارثر وافحص عن الامر . فاضطرب جون اضطراباً شديداً وقال جورج ارثر واي دخل لجورج ارثر في هذه المسألة . قالت هو الشخص الذي يكتب لي الاخبار المحلية والشخصية وهو الذي كتب هذه الجملة فلماذا اضطربت لسماع اسمهِ . قال جورج ارثر هو ابن عمي وقد حققتِ لي الآن ظنوناً كانت تخالج صدري من زمنٍ مديد فلم يبقَ عندي ريبٌ الآن ان ابن عمي هو سبب كل ما حدث لي من الموبقات . فآه ماذا افعل . وبعد سكوتٍ طويل قالت لوسيل اترك الامر لتدبيري ولا تظهر شيئاً من استيائك ولا مما حصل فان السكوت التام يساعدني على كشف الحقيقة واذا طلب منك رؤساؤك شهادةً عنك فأرسلهم اليَّ ولا تخف من خسارة الوظيفة فان ادارتي مستعدّة لقبولك من الآن بضعفي الاجرة التي تنالها وانا اتكفل لك باعادة شرفك فثق بذلك ومرّ عليَّ كلما امكنتك الفرص فأطلعك على ما يحصل

وفي المساء استدعت لوسيل جورج فوبختهُ على تصريحهِ بالاسماء وامرتهُ ان

لا ينشر شيئًا بعد ذلك في الجريدة قبل اطلاعها عليهِ . اما جورج فكان يجتهد في ارضآء لوسيل وهو يؤمل ان يوقعها في حبائل حبهِ فيقترن بها ويصبح وارثًا لملايين والدها فلما حصلت هذه الحادثة رأى فيها تغيرًا عظيماً من جهتهِ وتبينت لهُ منها علامات الاحتقار والنفور وزاد في الطين بلة ما علمهُ من ان جون يتردد عليها فتظهر لهُ المودة والانعطاف فصمم على الانتقام منها وايصال الضرر اليها

وفي الشهر الثاني من تاريخ هذه الحادثة مرّ جون كعادتهِ لزيارة لوسيل فأدخلتهُ الى غرفتها الخصوصية وبعد ان تحادثا حينًا قالت لهُ قد ارسل اليَّ والدي من اميركا هذه الآلة العجيبة المخترعة حديثًا وتُدعى فوتوفون من وظيفتها انها اذا اديرت تحفظ الاصوات التي تصدر امامهـا مع صور الاشباح التي تكون مواجهةً لها . فاذا وضعتها مثلاً في غرفة الخطابة واحببت بعد مدة طويلة او في بلد آخر ان تشاهد وتسمع نفس الخطيب فمـا عليك الاّ ان تدير هذه الآلة فترسم لك صورًا متحركة تمثل الشخص وحركاتهِ وصوتهُ واشاراتهِ بتمام الدقة والتفصيل . فأُعجب جون من هذا الاختراع ولكنهُ كان لا يزال مشرد البال يسعى في محو ما لصق باسمهِ من العار فودع لوسيل وخرج . وعادت لوسيل الى الآلة تفحص اختراعها وتحكم تركيبها وبينما هي كذلك سمعت قرعًا خفيفًا على باب غرفتها فخطر لها ان تجرب تلك الآلة فأدارت حركتها وذهبت ففتحت الباب . وكان الداخل جورج ارثر وهيئة الشر بادية على وجههِ فرعبها منظرهُ وانساها الآلة فرجعت الى طرف الغرفة مذعورة . وبعد ان حيّا جورج قال لها يا لوسيل انني احببتكِ منذ رأيتكِ اول مرة وعزمت على اتخاذكِ زوجةً لي ولكنكِ تغيرتِ منذ مدة قصيرة وجعلتني بين اليأس والامل وقد جئت الآن لاسمع من فمكِ الجواب الاخير فهل ترفضين طلبي . فقالت لوسيل وقد بلغ منها الغيظ مبلغهُ اغرب يا هذا من هنا فلن يمكن ان اتخذ دنيئًا نظيرك بعلاً لي واني اعجب من جسارتك في القدوم اليّ بمثل هذا الامر وانصح لك ان تعود من حيث اتيت . فقهقه جورج ضاحكاً ضحكةً شيطانية وقال خفي عنكِ يا لوسيل فلست بخارجٍ من هنا ما لم اثق ببلوغ قصدي . وانا اعلم انكِ تغيرتِ

من جهتي بعد مصادقتكِ لذلك الوغد جون ولقد طالما كان مزاحماً لي في اشغالي ومسابقاً لي في جميع احوال سعادتي ولكنهُ لن يفوز بمثل ذلك بعد الآن . اجل ان ابي قد ربَّاهُ وادخلهُ في شغلهِ فكان امهر مني وتقدَّم عليَّ فعمدت الى ابعاده ولم اتمكن من ذلك حتى احتجت الى دراهم فزوَّرتُ حوالات على محل والدي اولاً وثانياً ولما علمت بعد ذلك ان المزور عقابهُ شديدًا اغتنمت الفرصة لالقاء جون في التهلكة فزورت حوالةً اخرى وكتبت بضع اوراق تلقي التهمة على جون وفاز سهمي فاتُّهمَ وحكم عليهِ بالاشغال الشاقة مدة ثلاث سنوات ظننتهُ يموت في اثنائها واتخلص منهُ ولكن ابت روحهُ النجسة ان تفارق جسدهُ فبقي حيًّا . ثم احتجت الى دراهم مرةً اخرى فسرقتها من خزانة محلنا فلما شعرت ان والدي علم بذلك اسرعت فتركت نيويرك وجئت الى هنا فوجدت هذا الوغد جون قد سبقني الى لندن وحصل على مركز حسن وانا اتضور جوعاً فزاد غيظي منهُ . ثم ما صدقت ان تعرفت بك واملت ان احصل عليكِ حتى رأيتهُ قد انتصب امامي وسبقني الى اكتساب مودتكِ ورضاكِ فالويل لهُ لانهُ لا بد ان يموت من يدي

وكان كلام جورج وهيئتهُ الوحشية وتوعدهُ الشديد قد رعب لوسيل فوقفت كالصنم وهي لا تبدي حراكاً وشعرت ان الارض تموج تحت قدميها . وعاد جورج الى تتمة حديثه فقال اما الآن فأول ما يجب ان اعمله هو ان اتخلص من وجود هذا اللعين جون وقد قال لي انهُ يقيم في عدد ٣ من شارع فكتوريا فسأقصده واخطف روحهُ بهذا الخنجر ثم اعود الى هنا فاما ان تطيعي امري أو الحقك بهِ . واني انصح لكِ ان لا تبدي حراكاً حتى ارجع واقل اشارة تظهرينها تعجل موتك . ثم توجه نحو الباب فأسرعت لوسيل لامساكه فدفعها في صدرها دفعة شديدة فسقطت على الارض مغشيًّا عليها . ثم خرج واقفل الباب من الخارج ووضع المفتاح في جيبهِ

ولما افاقت لوسيل من اغمآئها راجعت في مخيلتها ما حصل وكانت لا تدري أفي يقظةٍ ما جرى ام في منام ولكنها ما لبثت ان تحققت الامر وعلمت ان جون المسكين سيلاقي حتفهُ على غير انتظار واخذت تفكر كيف تفعل لتنبههُ الى ذلك

الخطر . ثم اخذت جرساً صغيرًا عن مائدتها وجعلت تقرعهُ شديدًا لتستدعي الخدم فلم يسمعها احد ولو سمع الخدام لما امكنهم الدخول اليها والباب مقفل فوقفت حيناً وهي حيرى تتأمل في تلك الغرفة فوقع نظرها على التلفون . وكأن شعاعاً علويًّا اشرق على فكرها فوثبت الى التلفون وطلبت الحال التخاطب معدار الشحنة فأعلمتهم ان رجلاً ذاهب الى عدد ٣ من شارع فكتوريا ليقتل فتى يدعى جون مارسدن وانها لم تتمكن من ابلاغ الخبر شفاهًا لانها محبوسة في بيتها وانها تتحمل الدَرَك والنفقات التي تترتب على هذا البلاغ ان لم يكن الامر صحيحاً . فوردها الجواب انهم سيرسلون للحال من يستطلع الامر

واثرت تلك العوامل على مزاج لوسيل وشعرت بحمى محرقة تنهش جسمها فسقطت على مقعدٍ بقرب الحائط وغابت عن الوجود . وفي تلك الدقيقة كانت قد انتهت حركة الفوتوفون فأُقفل من نفسهِ وساد السكوت على تلك الغرفة

ولما افاقت لوسيل وجدت نفسها في غرفتها والى جانبها الطبيب وممرضة جيء بها من المستشفى فلم يسمحا لها ان تتكلم البتة و بقيت على هذه الحالة الى ان تعافت تماماً . واذ ذاك زارها رئيس الشحنة ودار بينهما حديث الواقعة فذكر لها انهُ لما بلغهم خطابها بالتلفون ارسلوا للحال بعض رجال الشحنة الى المحل الذي ذكرتهُ ولكن جآء بلاغها متأخرًا ولما وصل الشحنة وجدوا جورج قد اغمد خنجرهُ ثلاثًا في صدر جون وهو يهم بأن يجهز عليهِ فاوثقوهُ واخذوهُ الى السجن وقد اصرّ تمام الاصرار على كتمان امرهِ فهو منذ القآء القبض عليهِ لم يفه بنت شفة . اما جون فنقلوهُ الى المستشفى وقرّر الاطبآء ان جراحهُ وان تكن عميقة فهي ليست بذات خطر وقد ابقي هناك للمعالجة . وجآءوا بعد ذلك الى غرفتها عسى ان يحصلوا منها على بعض الانبآء لمحاكمة جورج فوجدوا الغرفة مقفلة ولما قرعوا الباب لم يسمعوا جواباً فكسروهُ ودخلوا فوجدوها ملقاةً فاقدة الشعور فنقلوها في الحال الى سريرها واستدعوا الطبيب فوجد ان بها حمى شديدة على اثر ذلك التهيج العظيم وهذا ثامن يوم مرّ عليها وهي في هذه الحالة

قالت لوسيل وماذا كان من امر جون . قال انهُ يتعافى شيئاً فشيئاً وقد برئت جراحهُ واذنت لهُ الاطبآء في الخروج للنزهة . قالت وجورج . قال لا يزال في سجنهِ ونحن في انتظار شفآئكما للشروع في محاكمتهِ وفحص دعواهُ

ولما تعافت لوسيل استُدعيت وجون الى دار القضآء حيث أُوثق جورج فقدم النائب العمومي قضيتهُ وطُلب منهما ابدآء ما يعلمانهِ من امرهِ فحكى جون ما حصل لهُ ولم ينكر المتهم انهُ تعمد قتلهُ وانهُ انما فعل ذلك لعداوة قديمة بينهما كان السبب فيها جون . ولما قررت لوسيل ما تعلمهُ وسردت كلام جورج الذي قالهُ في غرفتها تغيرت ملامح المتهم وانكر تمام الانكار انهُ قال شيئاً من ذلك وادعى ان الفتاة قد اخترعت هـذه القصة الملفقة لانها تحب جون وتسعى في برآءتهِ . فتبسمت لوسيل وطلبت من القضاة ان يأذنوا لها في الغياب قليلاً لتحضر لهم شهوداً لا يتمكن احد من الطعن في شهادتهم . ولما اذنوا لها اسرعت الى غرفتها فاحضرت الفوتوفون الى وسط المحكمة ثم ادارت الآلة فجعلت تشخص حالة جورج بحركاتهِ واشاراتهِ وكلامهِ منذ دخولهِ غرفة لوسيل الى وقوعها فاقدة الرشد بعد ان ابلغت الشحنة كما مرّ . ولم يجسر احد على تكذيب هذا الشاهد الناظر الاعمى والناطق الاصم ونظر القضاة الى جورج فرأوهُ قد علا الاصفرار وجههُ وانقلبت سحنتهُ ولما سألوهُ في ذلك لم يسعهُ الانكار فاقرّ بما حصل وحُكم عليهِ بالاشغال الشاقة مدى الحياة

وبلغ الخبر بتفاصيلهِ عم جون فتأثر تأثرًا شديدًا وعلى الخصوص لسوء اعتقادهِ بابن اخيهِ واهمالهِ اياهُ مدة سجنهِ واتهامهِ اياهُ بالتزوير والاختلاس فجآء لندن وبحث عن جون فلما التقى بهِ تواقع عليه وسألهُ الصفح عما اتى في حقهِ ثم اخبرهُ ان زوجتهُ قد توفيت وانهُ اصبح شيخًا لا قدرة لهُ على العمل وقد جآء ليسلم اشغالهُ واعمالهُ الى جون وسألهُ ان يقبلها دلالةً على صفحهِ عنهُ

وكانت علائق الوداد والمصافاة تزداد تمكنًا بين لوسيل وجون حتى انتهت باقترانهما فعاشا سعيدين يتمتعان بصفآء الحياة ولذة الولآء